المحاضرة الأولى: علم البلاغة: المفهوم والنشأة والتطور والفروع.

1-مفهوم علم البلاغة:

لاتزال البلاغة تستعصي على التعريف الدقيق، لا تزال تتخذ صورا شتى تتقارب وتتباعد، ولايزال يحيط بها حشد كبير من التعريفات بسبب شيوع المصطلح، وقدم البحث البلاغي، وكثرة باحثيه الذين تناولوه درسا وعلما منذ بدايات نشأته إلى اليوم.

وقد ألف الكتاب أن يبدؤوا شروحهم لأي تعريف بالنظر في المعجم، وما يقدمه من مادة لعلها تلقي ضوءا على التعريف الاصطلاحي الذي ينتهي إليه البحث، رغم أن الصلة بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي ليست صلة حتمية، وفي كثير من الأحيان لا يكون لهذه الصلة أهمية تذكر. ولكن من الضروري النظر في المعنى اللغوي – المعجمي قبل المفهوم الاصطلاحي للنظر في مدى التطابق والتنافر الموجود بين المفهومين.

يرتبط المفهوم اللغوي بأعمدة اللسان العربي الذين جمعوا دلالات الألفاظ في معاجمهم، ونذكر تعريف "ابن منظور" في "لسان العرب" لمصطلح البلاغة ثم الفصاحة بسبب تقاربهما واقتران الحديث عن المصطلحين في البحوث البلاغية:

يقول ابن منظور في باب "بلغ": بلغ الشيء يبلغ بلوغا، وبلاغا، وصل وانتهى، وأبلغه هو ابلاغا وبلغه تبليغا. وقول أبي قيس بن أسلت السلمي:

قالت ولم تقصد لقيل الخنى مهلا، فقد أبلغت أسماعي.

إنما هو من ذلك أي قد انتهيت فيه وأنعمت. وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته. وفي حديث الاستسقاء: واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين، البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك. والبلاغ الكفاية... وفي التنزيل إلا بلاغا من الله ورسالاته: أي لا أجد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به. والبلاغ الايصال، وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ. وقوله تعالى: "أم لكم أيمان علينا بالغة": قال ثعلب معناه موجبة أبدا قد حلفنا لكم أن نفي بها. وقال مرة: أي قد انتهت إلى غايتها...

والبلاغة: الفصاحة، والبلغ والبلغ بفتح الباء وضمها: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بلغ بالضم: بلاغة، أي صار بليغا. وقول بليغ، بالغ، وقد بلغ ... والبلغن: البلاغة[1].

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، المجلد 8، ط3، دار صادر – دار بيروت، بيروت، 1956م، 1375ه، (باب الغين المعجمة، فصل الباء الموحدة)، ص. ص 419، 420.

قدم "ابن منظور بداية التعريف اللغوي للبلاغة التي تعني الوصول والانتهاء عموما، وأقرنه بالتعريف الاصطلاحي الذي تعارف عليه العرب قديما فربطه بالفصاحة.

-**تعريف الفصاحة**: يقول ابن منظور في باب "فصح": الفصاحة: البيان، فصح الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء، وفصاح، وفصيح... وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح. تقول: رجل فصيح، وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق، وأفصح الرجل القول فلما كثر وعرف أضمروا القول، واكتفوا بالفعل مثل أحسن وأسرع وأبطأ... وفصح الأعجمي (بالضم) فصاحة: تكلم العربية وفهم عنه، وقيل جادت لغته حتى لا يلحن، وأفصح كلامه إفصاحا، وأفصح تكلم بالفصاحة. وكذلك الصبي، يقال أفصح الصبي في منطقه إفصاحا إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم... وأفصح عن الشيء إفصاحا إذا بينه وكشفه. وفصح الرجل وتفصح إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة، وقيل تفصح في كلامه، وتفاصح تكلف الفصاحة... والفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه، وقد أفصح الكلام وأفصح به وأفصح عن الأمر، ويقال: أفصح لي يافلان ولا تجمجم[1].

نلاحظ أن "ابن منظور" يعرف الفصاحة بالبيان ثم يربط الفصاحة بالبلاغة، فالفصيح هو البليغ الطلق اللسان.

كما أنه يعرف البلاغة بالفصاحة، وهذا ابتعاد كبير عن التحديد الاصطلاحي للمصطلحين كما سنرى، فما يقدمه"ابن منظور" ليس تعريفا اصطلاحيا للبلاغة، بل هو تعريف لغوي"، حتى وإن ربطه في تحديد من التحديدات بجانب اللسان والكلام والابلاغ والطلاقة.

التعريف الاصطلاحي للبلاغة: اختلف اللغويون والبلاغيون في تحديد مفهوم البلاغة. وسنجد أنفسنا أمام بنك ضخم من العبارات التي تحدد مفهوم البلاغة نحاول ان نأخذ منها بعض التحديدات:

1-مفهوم المطابقة: أشهر ما تعرف به البلاغة قولهم: "البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، وينسب هذا التعريف للسكاكي، والخطيب القزويني، والتفتازاني، والسيد الجرجاني، والمفهوم نفسه تبناه أغلب البلاغيين في العصر الحديث.

أما قولهم مع فصاحته يعني أن البلاغة ليست هي الفصاحة، ولكن الفصاحة شرط في البلاغة، فالكلام البليغ فصيح بالضرورة ولكن الفصيح ليس بالضرورة أن يكون بليغا.

ويكون الكلام فصيحا إذا كان جرس الكلمات خال من التنافر، والغرابة ومخالفة القياس، وضعف التأليف والتعقيد، عربيا فصيحا من كلام العرب الفصحاء.

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد 2، (باب الحاء، فصل الفاء)، ص544.

(وقد سأل معاوية صحارا: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال: الإيجاز. قال معاوية: وما الإيجاز. قال: أن تجيب فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ

وفي جزء من صحيفة بشر بن المعتمر يقول: ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إما عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت).

2-**جمال القول**: كثيرا ما ينظر للبلاغة على أنها "القول الجميل الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع". يقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة، لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى"[1]. فحتى وإن ألح على فكرة مطابقة المعنى لمقتضى الحال فإن هذا لا يجعل من الخطاب بلاغة مالم يضف لها شرط الجمال. وهو حسن القول. وجمال التعبير هو الأساس الذي بنيت عليه بلاغة العرب في قصائدهم الشعرية التي ملأت الدنيا وشغلت الناس، وهو الأساس الذي قام عليه نثرهم الأدبي.

إن استعمال اللغة لغرض التأثير الاستاطيقي يعني حقل الأدب والأسلوب يجعلنا ندرك أن تصور البلاغة في ضوء فكرة الجمال يرضي ميول الباحثين الذين يصدرون عن تعلق بالبحث الأدبي، ويسعون إلى اجتذاب البلاغة إلى الحقل الأدبي.

3-البلاغة اتصال وتواصل: ويرتبط هذا المفهوم بفكرة التأثير، فالقول البليغ له نوع من السلطة التي تجعله يشكل شعور المتلقي وعقله، وفكرة التأثير تجمع جمال القول مع نفاذه في النفس، وقد تبلغ البلاغة درجة الأسر والقوة، فهي تهز النفوس وتحركها، وتجتذب القلوب اجتذابا، وتعلقها بفتنة القول البليغ حد الصبابة، وتجبر الطباع على أن تشغف بالكلام البلاغ وتتأثر به وتشعر بسحره وقوته. وإن من البيان لسحرا.

ومن أحدث تعريفات البلاغة أنها "فن الاتصال الفعال"، وتشير كلمة الفعال إلى: المطابقة والجمال والتأثير. كما تشير إلى مفهوم التفاعل الذي هو جوهر الاتصال، ومنه فإن حضور المتلقي (المستمع أو المخاطب) حضورا جسديا أو افتراضيا ذهنيا ضروري لتشكيل القول البليغ.

البلاغة علم وفن، هي علم تركيب الكلام، العلم بقواعد النحو والصرف وكيفية تموضعها داخل الخطاب، وهي فن التأثير الفعال فالمتلقي، فن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ثم هي اتصال وتواصل وتفاعل بين المرسل والمتلقي بهدف الإقناع.

---

[1] أبوهلال العسكري : الصناعتين، تحق مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص19

2-**نشأة علم البلاغة**:

يتحدد مفهوم علم البلاغة بالوضع الذي ارتضاه الباحثون منذ القديم، ولكن ثمة صعوبة تكتنف كل من يحاول التصدي لمسار التطور العام للبحث البلاغي، حيث إن تطور البحث البلاغي طيلة مسار يتجاوز الاثني عشر قرنا وتطور البحث البلاغي لم يأخذ مسارا تاريخيا مستقيما منتظما. هذا مع التأكيد أن البلاغة العربية لم يطرا عليها تطور يذكر منذ أن استقرت علما قائما بذاتها في أوائل القرن السابع الهجري. وقد ألفت مؤلفات أكبر من أن تحصى تتناول البحث البلاغي العربي

من الصعب تحديد بدايات نشأة البلاغة العربية، ولكن من البديهي أنها كانت في بدايتها مجرد أفكار وملاحظات ساذجة متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي سبقت البلاغة في الظهور. والتي لم تكن بدورها قد تبلورت على نحو نهائي.

وقد احتضن المفاهيم البلاغية في بداية النشأة، ونشأت البلاغة العربية على هامشها العلوم الأدبية والعلوم اللغوية والعلوم القرآنية.

أولا: العلوم القرآنية: أي العلوم التي اهتمت بالنص القرآني، سواء من حيث شرحه وتفسيره أو من حيث بيان أوجه أعجازه، كعلم التفسير وعلم الكلام.

يهتم علم التفسير بتحليل النص القرآني من حيث الأوجه اللغوية والبيانية، وتحليل الجانب البلاغي من القرآن الكريم مستوى من مستويات التفسير. وقد بدأت صل البلاغة بعلم التفسير منذ نشأة المحاولات الأولى لعلم التفسير، فكتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة عمرو بن المثنى من المحاولات الأولى في تفسير القرآن والذي حوى على بعض الآراء والأفكار البلاغية، ويعده بعض مؤرخي البلاغة أول كتاب في علم البلاغة.

كما أن هناك نقطة لقاء ذات أهمية بالغة بين علم الكلام من ناحية وبين البلاغة من ناحية أخرى، جعلت علم الكلام من أهم العلوم التي احتضنت البلاغة. فقضية الإعجاز كانت من أهم القضايا التي اهتم بها علم الكلام فأفردوا لها كتبا خاصة، منها "النكت في اعجاز القرآن" للرماني، و"بيان إعجاز القرآن للخطابي"، و"اعجاز القرآن" للباقلاني، وغيرها الكتب التي تعد من أمات الكتب الكلامية.

لكن هذه القضية كانت بلاغية بقدر ما كانت قضية كلامية، فقد كان الجانب البلاغي في القرآن الكريم هو أبرز وجوه اعجازه. ومن ثم فقد بدأ علماء الكلام يطرحون في مؤلفاتهم التي تعرض للإعجاز القرآني بعض الملاحظات والأفكار البلاغية التي ظلت تنمو وينمو الاهتمام بها، حتى صارت معظم التي التي تؤلف حول الإعجاز القرآني كتبا بلاغية، بمقدار ما هي كتب كلامية.

إن صلة البلاغة العربية بعلوم القرآن لم تقف عند هذه المرحلة من حياة البلاغة العربية، وإنما ظلت العلوم القرآنية تحتضن الدراسات البلاغية في مرحلة نموها أيضا، وكان علماء الدراسات القرآنية في تلك المرحلة بلاغيين بقدر ما كانوا متكلمين ومفسرين. ومن بين الأسماء اللامعة في هذا المجال نذكر: "الرماني" و"الخطابي" و"الباقلاني" و"ابن قتيبة" وغيرهم من علماء التفسير والكلام الذي أرسوا دعائم البلاغة العربية. بل يمكن أن نعد البلاغة في تلك المرحلة علما قرآنيا.

ثانيا: العلوم الأدبية: ونقصد بالعلوم الأدبية ما يكون محور اهتمامها النص الأدبي، من حيث تقويمه وتحليل ظواهره الفنية كالنقد الأدبي، أو من ناحية التأريخ له كتاريخ الأدب، أو من ناحية شرحه وتفسيره كعلم الأدب. ومن الطبيعي أن تكون العلوم الأدبية مهدا وحاضنة البلاغة العربية، بل يمكن أن نعد البلاغة واحدة من بين العلوم الأدبية. لكن تجدر الإشارة إلى أن تأثير العلوم الأدبية في ظهور البلاغة قد تأخر مقارنة مع العلوم القرآنية.

ولعل أبرز من ساهم في تطوير البلاغة في هذه المرحلة "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين". هذه الموسوعة التي ضمنها الجاحظ الكثير من الفنون الأدبية والتي اختلط فيها النقد بالأدب بالبلاغة. وقد احتوى الكتاب على أهم الأصول البلاغية الأولى التي قامت عليها دعائم علم البلاغة فيما بعد. على الرغم من أن الكتاب لا يشتمل على نظرية علمية متكاملة.

ثالثا: العلوم اللغوية: وهي من بين العلوم التي نشأت البلاغة على هامشها وترعرعت في كنفها. فقد قام اللغويون والرواة بدور هام في طرح القضايا والأفكار البلاغية الأولى من خلال استنباطهم لقواعدهم ومبادئهم اللغوية من النصوص الأدبية. كان الأساس الأول للغويين والرواة هو رواية النصوص الشعرية والنثرية واستنباط القواعد اللغوية منها، وكانوا يعرضون لبعض الجوانب الأسلوبية والتعبيرية في هذه النصوص، لأن مجرد استخلاص قاعدة لغوية من نص ما يقتضي تحليل البناء اللغوي لهذا النص. ويتناول الجوانب الأسلوبية فيها. ومن ثم فقد تناثرت بعض الأفكار والملاحظات البلاغية العامة. والتي كانت بمثابة الأصول الأولى التي قام عليها علم البلاغة. من أمثال الأصمعي، والفراء، وثعلب.

3-**تطور البلاغة**: قطعت البلاغة العربية رحلة طويلة، امتدت إلى أربعة قرون لتصل إلى الاستقرار الذي عرفته وعلى الصورة التي وصلتنا، في عهد أبي يعقوب السكاكي. حيث استقرت بشكل نهائي في أوائل القرن السابع الهجري.

كان للمتكلمين وفي مقدمتهم المعتزلة دور كبير في وضع قواعد البلاغة العربية، وبسط مباحثها، وظل للغويين نشاطهم حتى القرن الثالث الهجري، ولكنه لم ينحسر عن دراسات خصبة، فما كان يعنيهم هو أن يقيسوا الكلام بالمقاييس العربية الخالصة، فلم يحاولوا الاطلاع على آراء الأمم الأجنبية في البلاغة .

نشط البحث اللغوي في القرن الرابع عند أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني، ولكنه نشاط متصل بفقه اللغة، وأسرارها، وقلما اتصل بالبلاغة، وعلى منوالهما نسج أحمد بن فارس، في كتابه الصاحبي، وله فصل مهم أسماه "معاني الكلام"، وقد جعلها عشرة، وهي: الخبر والاستخبار والأمر والنهي والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني والتعجب، ثم مضى يتحدث عن خروج كل نوع من هذه الأنواع إلى دلالات عارضة، فالخبر يخرج إلى التعجب، والتمني، والانكار، والنفي، والأمر والنهي والتعظيم والدعاء، وله جانب يتلتقي فيه كثيرا مع عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز.

أخذ اللغويون منذ القرن الثالث الهجري يهتمون بالمباحث اللغوية الخالصين منحازين عن مباحث البلاغة والبيان، وكأنهم رأوا فيها ميدانا آخر غير ميدانهم. أما المتكلمون فقد بقي نشاطهم في هذه المباحث متصلا.

فعنوا بتعليل اعجاز القرآن وتفسيره بلاغيا، وقد أخذ هؤلاء الكثير من مفاهيم البلاغية من اليونان والهنود والفرس، ولكن في احتياط، شأن الجاحظ الذي يضيف إلى ما أخذه عن الأمم الأخرى سيولا من ملاحظات العرب المعاصرين والقدماء،

وأخذت تنشط في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بيئة جديدة عنيت بشؤون البلاغة، هي بيئة المتفلسفة، ومما ساعد على ظهورها كثرة ما نقل عن اليونان، واحتفال العرب بفلسفتهم،

ومن أهم الكتب التي ظهرت في هذه الفترة كتاب **البديع لابن معتز** الذي بين بالبرهان الساطع أن البديع قديم في العربية، وليس وليد زمنهم، فيعود وجوده في الأدب العربي إلى العصر الجاهلي.

وكتاب "**نقد الشعر" لقدامة بن جعفر**، الذي تناول فيه مفاهيم بلاغية، وشعرية، ويظهر تأثره بكتاب فن الشعر لأرسطو، وتناوله لصفات جيد الشعر، إنما هي مقاييس لبلاغته. منها ما تمثله من كتابي الخطابة والشعر لأرسطو، ومنها ما تمثله من كتابات الجاحظ، وابن معتز، والأصمعي وغيرهم ممن سبقوه. ص91.

كتاب النكت في اعجاز القرآن للرماني: مؤلف هذه الرسالة علي بن عيسى الرماني، وهو أحد أعلام المعتزلة في عصره، وله مصنفات كثيرة في التفسير واللغة والنحو، وعلم الكلام، وهو يرى أن البلاغة ثلاث طبقات، عليا وهي بلاغة القرآن، والوسطى والدنيا وهي بلاغة البلغاء حسب تفاوتهم في البلاغة. ويرى أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة، والتلاؤم والفواصل، والتجانس والتصريف، والتضمين والمبالغة وحسن البيان.

إعجاز القرآن للباقلاني: وهو من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة. يصرح في كتابه إلى أنه يضيف على من تقدموه ما يجب وصفه في القرآن الكريم من طرق البلاغة وسبل البراعة.

إعجاز القرآن لعبد الجبار: وهو القاضي أبو الحسن عبد الجبار: وهو من أكبر أعلام المعتزلة، وله في كتابه فصلان قصيران يتناول فيهما موضوع البلاغة، في القسم الأول يتناول الفصاحة التي بها يفضل بعض الكلام على بعض، وعرض في القسم الثاني رأيه الذي يقع فيع تفاضل الكلام.

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري: وقد افتتحه بمقدمة نوه فيها بمعرفة علم البلاغة، وأنه ضروري لفهم اعجاز القرآن الكريم، وللتمييز بين جيد الكلام ورديئه، ويقول إنه ألف كتاب الصناعتين ليكمل نقص كتاب "البيان والتبيين للجاحظ". وجعل الكتاب في عشرة أبواب أولها باب لموضوع البلاغة وحدودها وما جاء فيه من أقوال السابقين.

كتاب العمدة في صناعة الشعرونقده لابن رشيق القيرو اني: وقد وزعه على نحو مائة باب، حاول أن يجمع ما كتب عن صناعة الشعر ومسائله البيانية، والبديعية عند المصنفين من قبله. والكتاب في جزأين. ويفرد بابا للبلاغة.

كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي: وعني فيه بتفسير الفصاحة وما يطوى فيه من الصور البيانية والبديعية.

-ازدهار الدرس البلاغي وإرساء علم البلاغة:

بعد هذه السلسلة من الكتب الدراسات التي مهدت الطريق لظهور علم البلاغة، نصل إلى عصر ازدهار البلاغة على يد ثلة من البلاغيين في القرن الرابع الهجري.

عبد القاهر الجرجاني: كان فقيها شافعيا، ومتكلما أشعريا، ويعد إمام النحاة، لكن صيته ذاع من خلال مؤلفاته البلاغية. فقد وضع نظرية علم المعاني وعلم البيان، وضعا دقيقا، ففصل نظرية علم المعاني في كتابه دلائل الإعجاز، وتناول في كتابه أسرار البلاغة، علم البيان.

علما أن تقسيم البلاغة إلى ثلاثة أقسام علم المعاني، وعلم البيان وعلم البديع لم تكن قبل عبد القاهر الجرجاني، حيث كان الجرجاني أول من أرسى دعائمها.

وعبد القاهر الجرجاني ينكر أن يكون للألفاظ مزية في البلاغة من حيث هي ألفاظ، فالمعول عليه هو النظم والأسلوب والصياغة.

والنظم بذلك هو معاني النحو التي يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض، ويعرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها. وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه

التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق... ويجيء به حيث ينبغي له، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها في خصوصية بذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه..".

فحسب الجرجاني إن المعنى يتغير بتغير مواضع النظم، فالعبارات السابقة لا تعبر عن نفس المعنى، وليس لها الدلالة نفسها..

وضع عبد القاهر الجرجاني نظرية علم المعاني كما وضع نظرية علم البيان لأول مرة في تاريخ العربية، وإذا كانت الفصول التي بحثها قد سبقه إليه البلاغيون من قبل، غير أنهم لم يحرروها ولم يبحثوا دقائقها ولم يجمعوها على نحو ما فعل "الجرجاني" في كتابه أسرار البلاغة. فقد ميز أقسامها، وفروعها وحلل أمثلتها تحليلا بارعا، في نحو أربعمائة صحيفة.

تجدر الإشارة إلى أن عبد القاهر الجرجاني كان في جهده الذي يرمي أساسا إلى اثبات اعجاز القرآن الكريم سباقا إلى تأسيس علم البلاغة العربية، بتأسيسه لنظرية النظم، التي تقوم على الربط بين البلاغة والنحو، كما اهتم بالمتلقي، بتبيان كيفية تأثير الصور البيانية على المتلقي، وتناول الحديث عن الأغراض والمقاصد، فقد تناول بالشرح والتحليل مفهوم المعنى ومعنى المعنى، وكيف أن المعنى الأول إنما هو مطية للوصول إلى المعاني الثواني.

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل علم البلاغة:

للفلسفة الإسلامية تاريخ حافل بأعلام أصحاب المذاهب الذين أنشأوا أنظمة فكرية استندت إلى التراث اليوناني، من ناحية، والتراث الفكري الإسلامي من ناحية أخرى، ونتج عن هذا التأثير المزدوج مركب فكري خاص، يمتاز بالأصالة.. وهو مركب فكري لاتجده عن غيرنا من الأمم. أنتج فكرا وفلسفة إسلامية خالصة وخاصة تسمى بعلم الكلام، لها تأثيرها على مختلف المفاهيم الفكرية اللاحقة. ومن بينها البلاغة العربية.

لقد تأثرت البلاغة العربية بعلم الكلام كما تأثرت بالعلوم الأخرى كالتفسير والنحو والمنطق، وإن كان تأثرها بعلم الكلام أكثر بكثير من تأثرها بالعلوم الأخرى، ومن المعلوم ان الفرق الكلامية عديدة ومتعددة، منها الصوفية، المعتزلة، الأشعرية، الشيعة، المرجئة، الخوارج.

وكان للمناظرات التي ظهرت بين مختلف هذه الفرق دورها في تطوير الدراسات المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم، وتطوير بطريقة غير مباشرة الدراسات البلاغية.

ومن أهم الفرق التي ساهمت في تطوير الدراسات البلاغية:

المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت بداية القرن الثاني الهجري، أواخر العصر الأموي، لكن ازدهارها كان في العصر العباسي. ونعني بالاسم المحايدين، أو الذين لاينصرون أحد الفريقين المتنازعين، أهل السنة والخوارج، فأول سبب خلاف، وأول سبب ظهور المعتزلة أنه كانت هناك مسألة فقهية خلافية في أمر المسلم الذي يرتكب الكبيرة إن كان مسلما، أم كافرا، لكن واصل بن عطاء، لم يدل برأيه، بل اعتزل المجلس، فقال الحسن البصري وهو الذي طرح المسألة لقد اعتزل عنا، ومن هنا ظهرت المعتزلة، وإن كانت استمرارا أو فرعا عن القدرية. التي ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري. و "المعتزلة، هي أكبر مذهب كلامي في الإسلام".

من مبادئ الاعتزال تقديم العقل على النقل، وتبني الأصول الخمسة وهي التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، إنقاذ الوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبدأ الثالث هو الأخذ بالمجاز في تأويل الكثير من الدلالات في القرآن الكريم.

علماء المعتزلة وتأثيرهم في الدرس البلاغي:

تعد المعتزلة من أكثر الفرق الكلامية إرساء لأسس البلاغة بحكم اتصالهم بالقرآن الكريم، ونظرتهم العميقة في نظمه، وتأليفه، وأساليبه، ودلالات ألفاظه ومعانيه.

-**بشر ابن المعتمر**: وهو صاحب الصحيفة الشهيرة في البلاغة العربية والتي نقلها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، وهو مؤسس فرع المعتزلة في بغداد، ومما ورد في صحيفة بشر في البلاغة: مسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى. وهذه الصحيفة تظهر للمتلقي أن صاحبها هو مؤسس علم البلاغة العربية وليس باحثا فيها، لما تضمنته من حقائق دقيقة، ونظرات فذة، سهلت على من جاء من بعده من الدارسين التنقيب والبحث فيها.

-**الجاحظ**: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو تلميذ النظام المعتزلي صاحب نظرية الصرفة. له مؤلفات شهيرة جدا وتعد من أمات الكتب التي يعتد عليها، منها البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء. ساهم الجاحظ في التأسيس للبلاغة العربية من خلال مختلف الآراء التي نجدها بين طيات مؤلفاته. بل إن جهوده في التأسيس للبلاغة لا يستهان بها، إذ يعد من الذين رسموا المسار الحقيقي للدرس البلاغي.

- **ابن جني**: أبو الفتح عثمان بن جني: وهو من أعلام اللغة العربية، شهرته بالغة، وهو تلميذ أبي علي الفارسي اللغوي المشهور، من أشهر مؤلفاته كتاب الخصائص، ويعد مرجعا لغويا للسابقين واللاحقين، وله سر الصناعة وشرح ديوان المتنبي، وإضافة إلى مسائله في علمي النحو والصرف، تحتوي على مسائل بلاغية، كتعريفه للحقيقة والمجاز مثلا. يقول في الخصائص: "الحقيقة ما أقر في أصل الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان ضد ذلك". بل إن بن جني قد اشتهر ببلاغته، وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن

المعاني، بوجوه الأداء ووضع الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني، فتناول الحقيقة والمجاز، وتحدث عن التشبيه والاستعارة، وينظر إليهما على انهما مجاز، وغيرها من بعض القضايا البلاغية المهمة.

- **الزمخشري**: وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، كان يلقب بجار الله، يعد من بين أعلام النحو وعلماء التفسير، تتلمذ على يد النيسابوري، والأصبهاني، اعتمد على المفاهيم البلاغية في الكشف عن اعجاز القرآن الكريم في أشهر مؤلفيه: أساس البلاغة والكشاف، وتفرد الزمخشري عن باقي المفسرين في تفسيره الشهير الكشاف في اعتماده على البلاغة في الكشف عن الإعجاز القرآني.

يعد الزمخشري من علماء الطبقة الأخيرة في المعتزلة، لذلك كان الدرس البلاغي في عهده قد اكتمل نضجه، ولعله أدرك أن سابقيه أمثال ابن جني وعبد القاهر الجرجاني قد أثروا هذا الجانب ولم يكادوا يتركوا شيئا إلا وعالجوه، فاكتفى بتحليل النص القرآني، والغوص في أعماقه، واستخراج بيانه وبديعه، فقد تطرق إلى كل مباحث البيان في الآيات القرآنية كالمجاز والتضمين والتشبيه، والتمثيل والكناية، والتعريض مع إضافته للالتفات وهو من علوم المعاني عند الآخرين.

المحاضرة الثالثة: الأسلوب الخبري وأضربه

الخبر: هو قول يحتمل الصدق ويحتمل الكذب، وهذا أشهر تعريف للأسلوب الخبري.

أغراض الخبر: هو طلب يقوم على أمر واحد من اثنين:

-**فائدة الخبر**: وهو اعلام المخاطب بالحكم الذي تتضمنه الجملة الخبرية، شريطة أن يكون جاهلا به، نحو قولك: مرض ليلة أمس، أو كنت في سفر.

- **لازم الفائدة**: في هذه الحالة يكون المتكلم والسامع على علم بالحكم الذي تتضمنه الجملة نحو: دافعت عن نفسك بقوة في الحلبة. رأيتك أمس تعطي جارنا مبلغا من المال. لقد أعنته.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تفهم من سياق القول. ومن بين هذه الأغراض:

-الاسترحام والاستعطاف: كقوله تعالى: "إني لما أنزلت إلي من خير فقير"، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا.

-اظهار الضعف: كقوله تعالى: كقوله تعالى "رب إني وهن العظم مني...".

- إظهار التحسر والحزن: كقوله تعالى "حتى إذا أدركه الغرق، قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل".

- التوبيخ: قال تعالى: "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا".

-الفخر: كقول المتنبي: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم.

-المدح: كقول الشاعر: إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

-النصح والإرشاد: قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

الترغيب: كقول الشاعر: ومانيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

أضرب الخبر:

1-خبر ابتدائي. خال تماما من المؤكدات.

2-خبر طلبي: ويحوي على مؤكد واحد.

3-خبر إنكاري: فيستلزم اعتماد مؤكدين فأكثر، حسب درجة إنكار المخاطب.

أشهر أدوات توكيد الخبر هي: إن وأن، والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة، وأحرف التنبيه، والاحرف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، وضمير الفصل.

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر:

تسمى الأنواع الثلاثة السابقة مقتضى الظاهر، وقد يجري الخبر على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم منها:

1-تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد: كقوله تعالى: "ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون". لأنه لما أمر الله نوحا أن يصنع الفلك ثم نهاه عن مخاطبته بالشفاعة لمخالفيه، صار رغم أنه غير سائل في مقام السائل المتردد المتوجس خيفة، هل حكم عليه بالإغراق أم لم يحكم عليه. فأكد الخبر على خلاف مقتضى الظاهر.

2-تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه.. كقوله تعالى: "ثم إنكم بعد ذلك لميتون".

مقتضى الظاهر القاء الخبر خاليا من التوكيد، لأنهم غير منكرين للحكم ولكن غفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له، نزلوا منزلة المنكرين له، فألقي الخبر مؤكدا.

3- تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن: لإن كانت لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عن إنكاره. كقوله تعالى: "وإلهكم إله واحد". مقتضى الظاهر إلقاء الخبر مؤكدا لإنكارهم وحدانية الله، لكن بين أيديهم من البراهين الساطعة والحجج ما لو تأملوها لزال انكارهم.. لذا ألقي إليهم الخبر غير مؤكد.

المحاضرة الرابعة: الأسلوب الإنشائي وأضربه:

الأسلوب الإنشائي هو الأسلوب الذي لايحتمل الصدق والكذب، وينقسم إلى قسمين:

1-الأسلوب الإنشائي الطلبي: ويتمثل في:

1-الأمر: وهو طلب القيام بعمل على وجه الاستعلاء والالزام. وصيغه أربعة:

فعل الأمر: أخرج. تقدم.

-المضارع المجزوم بلم الأمر: لتخرج . لتتقدم..

-المصدر النائب عن فعل الأمر: كقولك: صبرا جميلا ، أي اصبر.

-اسم فعل الأمر. مثل: حي، آمين.

2- النهي: وهو طلب الكف عن القيام بفعل على وجه الاستعلاء والالزام. وللنهي صيغة واحدة وهي: المضارع المقرون بلا الناهية. مثل لاتأكل، لا تسرق، لا تكذب.

3- الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، بأدوات مخصوصة وهي الهمزة، هل، ما، من، متى، أيان، كيف، أين، أنى، كم، أي.

وتنقسم أدوات الاستفهام بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ-ما يطلب منه التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة. فالتصور هو ادراك المفرد كقولك: أمحمد مسافر أم يزيد؟ أما التصديق فهو ادراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أو عدم وقوعها.. مثل قولك: أحضر الأستاذ؟ والجواب نعم أو لا.

ب- ما يطلب منه التصديق فقط وهو: هل. مثل قولك: هل حضرت المحاضرة؟ الجواب هو: نعم أو لا.

ج- ما يطلب منه التصور فقط وهو بقية ألفاظ الاستفهام. وقد تخرج عن الغرض الأصلي إلى أغراض أخرى ثانوية أو جانبية تفهم من سياق الكلام. كالتقرير والتوبيخ، والتحقير والتسوية، والتعجيز والتمني.

كقوله تعالى: "أنى لهم التناوش...".

2- **الأسلوب الإنشائي غير الطلبي** ويتمثل فيما يلي:

-صيغ التعجب: ما أفعله – أفعل به. نحو.. ما أجل السماء - أجمل بالسماء.

- صيغ العقود: اشتريت، بعت، اتفقت.

- القسم: بالله، تالله، والله. والله لن أذهب إلى ذلك المحل التجاري مرة أخرى.

- الرجاء: عسى، لعل، حري. "لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا".

- صيغ المدح والذم: نعم وبئس، حبذا ولا حبذا. نعم الخلق الحياء، وبئس الخلق الوقاحة والكذب.

المحاضرة الخامسة: التقديم والتأخير

يعد مبحث التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني، فهو يبحث في بناء الجمل وطريقة تركيبها، لإبراز الأسرار البلاغية فيها، وهو سمة بارزة في كلام العرب الفصحاء، ومتونهم البليغة.

يخضع نظام الجملة العربية لترتيب نحوي ونظام يقوم على احترام قواعد اللغة العربية، فالجملة الفعلية تقوم على: الفعل والفاعل والمفعول به، والجملة الاسمية تقوم على المبتدأ والخبر. ويقتضي نظام الترتيب أن يحترم هذا النظام، فالفعل يتبعه الفاعل، ثم المفعول به، والمبتدأ يتبعه الخبر، ويستلزم الترتيب سواء في الجملة الفعلية أو الجملة الاسمية تأخير الفضلات والمكملات، كالمفاعيل بأنواعها، والمجرورات، وتقديم صاحب الحال عليها، وتقديم الموصوف على الصفة، والمعطوف عليه على المعطوف.

فهذا النظام هو النظام الذي قررته قواعد اللغة العربية، استعمالا قبل أن يكون تقعيدا، لكن هذا الأصل قد يعدل عنه إلى غيره، ويعمل بخلافه، فيقدم ما حقه التأخير، ويؤخر ما حقه التقديم، في حالات يقررها الاستعمال البلاغي دون أن يشوش على الفهم، أو يؤثر سلبا على الجملة، فيكون في هذا التقديم والتأخير، أو مايسمى بالعدول عن نظام القاعدة العربية بالتشويش في الرتب دلالة أعمق، وإفادة أكثر من لو أننا حافظنا على نظام الجملة كما يفترض أن تكون في أصلها.

فهذا التشويش في الرتب يحدث لدوافع تزيد المعنى ولا تنقصه، وتوجهه نحو المقاصد البلاغية العميقة، ومما تجدر الإشارة إليه أن مبحث التقديم والتأخير لم تهتم به الدراسات البلاغية فقط، إنما كان مبحثا نحويا، واهتمت به كثيرا كتب التفسير لكثرة وروده في القرآن الكريم.

ومما قاله الجرجاني عن التقديم والتأخير: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد العناية....."

يدل التقديم والتأخير على حكمة بالغة، وقدرة واقتدار على حسن التصرف، فحين تنظر فيه تجد أن ما تقم لا يصلح إلا أن يكون مقدما، وما تأخر لا يصلح إلا أن يكون مأخرا، ويظهر هذا جليا في كتاب الله العزيز، ثم في أشعار العرب البلغاء، فيتحقق بهذا المظهر البلاغي درجات عليا من المعاني لاتتم إلا به.

أساب التقديم والتأخير:

1-الاهتمام والعناية: يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام".

2- مشاكلة الكلام ورعاية الفواصل: قد تؤخر كلمة عن موضعها استحسانا حين يكون الاحتفاظ بالترتيب الأصلي إخلال بالتناسب والمشاكلة. كمثل قوله تعالى: "فأوجس في نفسه خيفة موسى"، حيث تقدم الجار والمجرور (في نفسه)، والمفعول به (خيفة) على الفاعل (موسى) لمناسبة الفاصلة التي قبلها والتي بعدها.

3-التعجب من حال المذكور: وقد يكون قصد التعجب أو قصد التوبيخ، كقوله تعالى: "وجعلوا لله شركاء الجن"، والأصل: "الجن شركاء".

4- الاختصاص: ويقع عادة بتقديم المفعول به، والخبر والجار والمجرور على الفعل، والمثال الذي يضرب دائما في هذا الموضع، قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين".

المحاضرة السادسة: الفصل والوصل:

الفصل والوصل ظاهرتان لغويتان بلاغيتان شغلتا العديد من العلماء فتتبعوا دقائقها بالشرح والتمثيل، وكان من بين أهمهم عبد القاهر الجرجاني الذي استفاض في توضيح حدودهما ودلالتهما. فحين أرسى دعائم نظرية النظم جعل من هذه الثنائية أحد أهم الدعائم، فتتبع مواضع استخدام كل صيغة شارحا أسباب ذلك من الناحيتين النحوية والبلاغية، ثم انتقل إلى تعداد حالات مجيء كل من الفصل والوصل.

مفهوم الفصل والوصل:

الفصل هو أن نفصل بين جملتين، ويكون ذلك بترك العاطف، والوصل هو أن نصل بين الجملتين.

يقول السكاكي: "الفصل هو ترك العطف وذكره على هذه الجهات، وكذا طي الجمل عن البين". إذن الفصل حاجز خيالي يوجد مسافة بين المتلاحقين، فيكونا بذلك منفصلين، وعكس ذلك وصلهما، والإحاطة بالفصل والوصل لا تنفتح إلا لصاحب ذوق رفيع، ودقة بالغة، وحسن ذوق.

فمن أمثل الوصل قوله تعالى: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون".

ومن أمثلة الفصل قوله تعالى: "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس".

يتحقق الوصل بلاغيا بالواو العاطفة دون غيرها، لأن الواو لا تفيد إلا الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، بخلاف العطف بالأدوات الأخرى التي تفيد مع التشريك معاني أخرى.

أ-مواضع الوصل:

1-إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والانشائية، لفظا ومعنى، أو معنى فقط، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى. كقوله تعالى: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا"، أو قولنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أكبر الفضائل.

2-دفع توهم غير المراد: وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والانشائية، وسيوهم الفصل إن فصلنا خلاف المقصود، كقولك: لمن يسأل عن ظهور نتائج امتحانات الباكالوريا واستعلامه إن نجح ابنك فتجيبه: لا. وفقه الله"، فهنا يقتضي السياق اعتماد الواو.. فتقول لكي لا يتوهم خلاف ما قيل: "لا، ووفقه الله".

3-إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب، حيث لا مانع، نحو قوله تعالى: "تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي".

ب-مواضع الفصل:

1- كمال الاتصال: أي أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي، فتشعر بأنهما أفرغتا في قالب واحد. نحو قوله تعالى: "واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين"، وقوله تعالى: "فوسوس له الشيطان إليه الشيطان، قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد"، وكقوله تعالى:"فمهل الكافرين، أمهلهم رويدا".
2- كمال الانقطاع: أي أن يكون بين الجملتين تباين تام، واختلاف ظاهر، دون إيهام خلاف المراد، كأن يختلفا خبرا وإنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى فقط. كمثل قولك: هذا ولدي حفظه الله.. تكلم بارك الله فيك. أو كمثل قولك: محمد عالم، وسمية نشيطة.
3- شبه كمال الاتصال: أن تكون الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى، لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، كقوله تعالى: وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء".

4- شبه كمال الانقطاع: أي أن يكون بين الجملة الأولى والثانية جملة أخرى ثالثة متوسطة، حائلة بينهما، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة، فيترك العطف هنا. كقول الشاعر: وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم.

5- التوسط بين الكمالين مع قيام المانع: أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم. كمثل قوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم".

المحاضرة السابعة: الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: تعرف الحقيقة في اصطلاح البلاغيين أنها كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع الواضع، وهي عن الجاحظ استعمال اللفظ فيما وضع له أصلا4. أي أنه لا تعدو أن تعني اللفظ الذي وضع له في أصل المتخاطبين، فالأسد هو الأسد، في قولك مثلا: الأسد ملك الغابة، والشجرة هي الشجرة في قولك اعتنيت بشجرة التين فأثمرت، والرجل هو الرجل في قولك أبي رجل شجاع. فالاستخدام الحقيقي للألفاظ هو الاستعمال العادي الذي لا يخرج عن العرف، ولا يحتاج إلى تفسير وتأويل، وكلامنا المباشر يعتمد الألفاظ الحقيقية.

وحتى بعض الألفاظ التي اعتمدت بداية على أنها ألفاظ مجازية كالكناية والتورية، ثم تلقفها من أتى من بعد بأن يستخدم ذلك الاستعمال المجازي على أنه حقيقة تصير ألفاظا حقيقية، مع الزمن ومع طول الاستعمال، ويمكن أن ينضوي هذا المفهوم فيما ينعت بالتطور الدلالي. فالاستعمال في الغالب عرف لغوي يسقط الأصول اللغوية للوضع بين الجماعة المتخاطبة، ويجعل اللفظة تأخذ حقيقتها من استعمالها وليس من أصل وضعها، فالسيارة هي السيارة المركبة المعروفة في قولك اشتريت سيارة جديدة، وكانت تعني القافلة، أو القوم السائرون معا. ففي قوله تعالى: "وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم"، أي قافلة.

كما أن هناك شروط تقيد حقيقة الكلمة فمن المؤكد أنه يجب أن تكون الكلمة مستعملة: فقبل الاستعمال لا يحق لنا الحكم عليها لا بكونها صحيحة، ولا بكونها مجازا، كما يجب أن يكون هناك اتفاق جماعة بشرية على أن هذه الكلمة تعني هذا المفهوم بالذات، بمعنى أن المدلول يستقيم مع الدال باتفاق.. فلن يستقيم أن تشير إلى السماء وتقول عنها قطة، القطة عالية وأنت تقصد السماء مثلا، كما لا تحتاج الحقيقة إلى قرينة تثبت المعنى وتبينه.

أقسام الحقيقة:

أ-الحقيقة اللغوية: وهي ما وضعها واضع اللغة ودلت على معنى مصطلح عليه في تلك المواضعة، فمرجع الدلالة فيها إلى وضع اللغة، كاستعمال لفظ الزهرة، والحياة، والشمس والجمال فيما وضعت له في عرف اللغة.

ب-الحقيقة الشرعية: وهي ملفوظات استمدت حقيقتها من وضع أهل الشرع، ولم تكن تحمل تلك الدلالات قبلا، كلفظة الصلاة، التي كانت تعني الدعاء، ولفظة الحج التي كانت تعني الزيارة أو القصد، ولفظة الزكاة التي كانت تعني الطهارة عموما، ولفظة الكفر التي كانت تعني الستر والتغطية والاخفاء.

ج-الحقيقة العرفية الخاصة: وهو ما كان مرجع الدلالة فيها عرف خاص، ظهر بظهور دافع قوي كعلم من العلوم وضع مصطلحات قريبة من الاستعمال العرفي العام، فبظهور القواعد ظهرت مصطلحات خاصة به: كالفعل والفاعل والمفعول به، والمبتدأ والخبر والصفة. فصارت هذه الملفوظات تدل على حقائق علمية من الصعب تعديل أو تغيير هذا الاستخدام.

د-الحقيقة العرفية العامة: ويكون مرجع الدلالة فيها إلى عرف عام، قد لا يتعين صاحبه، كاستخدام لفظ طيارة إشارة إلى الطائرة، وسيارة إشارة إلى المركبة المعروفة، وهاتف الى جهاز الاتصال، والدابة التي وضعت في أصل الاستعمال إلى كل ما يدب على الأرض، لكنها صارت بدورها تشير إلى ما يعرف بالدواب، كالحمار، والبقرة والفرس، والجمل وغيرها..

المجاز: هو كل اسم أفاد معنى على غير ما وضع له، فهناك الاستعمال الأصلي في الخطاب، وهناك وضع اللفظ في غير ما وضع له في الأصل، وهذا هو المجاز.

ويعرف بكونه صرف اللفظ عن معناه الظاهري إلى معنى آخر بقرينة، كقولك صادفت امرأة في الطريق تمسك بيد قمر. ونحن نقصد فتى بهي الطلعة. أو كقولك رجل يحمل العلم بين يديه.. أي رجل عالم عارف.

أنواع المجاز:

أ-**المجاز العقلي** ويسمى المجاز المركب: وهو اسناد الفعل وما في معناه إلى غير ما هو له، ويقع في التركيب، كقولك: قطع أمير المؤمنين أعناق الجبابرة، وفي الحقيقة ما كان بإمكان أمير المؤمنين أن يقطع أعناق الجبابرة لوحده، إنما جنده هم من يفعل ذلك، وكقولك: مالي أراك تحمر وتصفر ويسيل منك العرق، وأنت تقصد ما لي أراك قلقا وخائفا.

ب-**المجاز اللغوي**: ويسمى المجاز المفرد: وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، على أن تكون هناك علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، مع قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي.

وينقسم المجاز اللغوي (المفرد) إلى قسمين:

-**الاستعارة**: وتقوم على علاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي. كقولك: هذا البحر لاينفذ كرمه، أو كقولك: هذا الجبل الشامخ لن تهزه المحن.

-**المجاز المرسل**: والعلاقة في المجاز المرسل لا تقوم على المشابهة، لذلك سمي مرسلا، أي أنه لم يتقيد بالمشابهة أو لأن له علاقات شتى. كقوله تعالى: "يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت"، أو قولك رعت الابل الغيث.

-أنواع المجاز المرسل: للمجاز المرسل أنواع عديدة بالنظر إلى علاقاته وهي:

1-**علاقة السببية**: فيكون المعنى الذي وضع له اللفظ سببا في المعنى المراد وغير المذكور. كقولك: رعيت الغيث، واصطدت البحر.

2-**علاقة المسببية**: وتقوم هذه العلاقة على ذكر المسبب وأنت تريد به السبب، كقولك: أمطرت السماء نباتا، وكقوله تعالى: "وينزل لكم من السماء رزقا".

3- **علاقة الجزئية**: وهي أن يطلق الجزء ويراد به الكل، نحو قوله تعالى: "يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا"، وقوله: "فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها"، وقوله تعالى: "فتحرير رقبة مؤمنة".

4-**علاقة الكلية**: وهي أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل، أي يطلق الكل ويراد الجزء. نحو قوله تعالى: "يجعلون أصابعهم في أذانهم من الصواعق حذر الموت".

5-**علاقة اعتبار ما كان**: وهو التعبير عن الشيء باسم ما كان عليه، أي ينظر إلى الماضي، كقوله تعالى: "وآتوا اليتامى أموالهم".

6-**علاقة اعتبار ما يكون**: ويعبر عن الشيء باسم ما يؤول إليه في المستقبل: كمثل قوله تعالى: "إنك ميت وإنهم ميتون"، وقوله: "إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا". أي أن المولود مستقبلا سيخرج عن الفطرة التي فطره الله عليها ويصيرا فاجرا، وكافرا.

7-**علاقة المحلية**: يذكر هنا مع هذه العلاقة اسم المحل وهو يقصد به الحال. كمثل قوله تعالى: "واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها".

8-**علاقة الحالية**: وهو عكس العلاقة السابقة، حيث يذكر الحال وأنت تقصد به المحل.. والمثال قوله تعالى: "وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون".

9-علاقة الآلية: أي أن يعبر عن الشيء باسم الآلة التي تكون سببا في حصول الشيء. كقوله تعالى: "واجعل لي لسان صدق في الآخرين". أي يا الله أرزقني لسانا يذكرني بعد موتا ذكرا طيبا ويدعو لي، اجعل لي ذكرا طيبا فيمن حولي.

10-علاقة المجاورة: نعني بهذه العلاقة أن تعبر عن الشيء باسم ما يجاورها، ولا يتأتى هذا إلا إذا كانت العلاقة بين المذكور والمحذوف متينة، والاستعمال يسيغه.. كقولك: شربت القربة. نفذ الماء في الابل.

المحاضرة الثامنة: التشبيه وأضربه

تعريف التشبيه:

التشبيه في اللغة يعني التمثيل[1]، وهو أسلوب من أساليب البيان العربي، ومن أقدم الأساليب، يقوم على عقد مقارنة بين شيئين أو أكثر يشتركان أو يشتركون في صفة واحدة أو أكثر. وتكون هذه المقارنة بواسطة أداة أو فعل يربط بين طرفي التشبيه وهما المشبه والمشبه به.

فإذا رأيت رجلا شجاعا وأردت أن تعبر عن منتهى شجاعته لن تقول الرجل شجاع لأن هذا أسلوب خبري يعطي المعلومة دون أن يضفي عليها طابعا بلاغيا، أو بصمة بيانية، فإن شئت الأثير في المتلقي، وجعله يعجب بلغتك من جهة ومن شجاعة هذا الرجل تقول: صادفت رجلا شجاعا كالأسد، أو رجل كالأسد في شجاعته. والشأن نفسه تعبر به عن جمال امرأة فتقول كما قال العرب قديما، فتاة كالقمر في الملاحة، وعيونها كالغزال.

أركان التشبيه: للتشبيه أربعة أركان، قد تذكر كلها وقد يذكر بعضها، على حسب نوع التشبيه.

وهذه الأركان هي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

يسمى الركن الأول والثاني (المشبه والمشبه به) طرفا التشبيه، وهذان الذرفان يأتيان في الكلام على ثلاثة أنواع:

أ-**حسيان**: أي مما يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وهذه الحواس هي: المبصرات، المسموعات، المذوقات، المشمومات، الملموسات. صبية كالقمر جمالا، ورجل كالثعلب مكرا، وآخر كالجمل صبرا.

ب-**عقليان**: ويدرك طرفا التشبيه في هذه الحالة بالعقل، ومثال ذلك: رقيقة كالمدى، هادئة كنبض القلب، دافئة كالصيف.

[1] ابن منظور : لسان العرب، ج5، ص22.

ج-**مختلفان**: فيكون طرف عقلي وطرف آخر حسي، فإذا كان المشبه عقليا، كان المشبه به حسيا، وإذا كان المشبه حسيا كان المشبه به عقليا. نحو: فتاة كالحلم، الحرية كالأرض، الوطن كالأم لايباع ولايشترى. له منزل هو كأريج السكون.

أما الركن الثالث فهو الأداة، فللتشبيه أداتين اثنتين فقط، هما الكاف، وكأن..

وقد تكون الأداة عبارة عن اسم، وأسماء التشبيه هي: مثل، نحو، مشابه، مضاهي، يحاكي، يضارع، مثيل، شبيه...

وقد تكون فعلا، وأفعال التشبيه هي: يشبه، يشابه، يماثل، يضارع، يحاكي، يضاهي.

أما الركن الرابع فهو وجه الشبه وهو المعنى أو الصفة التي يشترك فيها طرفا التشبيه، وهذا الاشتراك إما أن يكون تحقيقا، أو أنه يأتي على سبيل التأويل والتخييل.

أقسام التشبيه:

1-التشبيه البليغ: وهو تشبيه يحذف منه الأداة ووجه الشبه، نحو قولنا: زيد أسد، أبي شمس، أمي درة.

2-التشبيه الضمني: وهذا التشبيه نلمحه من خلال التركيب، فلا يصرح به مثل قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت إيلام

وكقول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

أما بالنظر إلى وجه الشبه فينقسم التشبيه إلى:

1-التشبيه المجمل: وهو الذي يحذف منه وجه الشبه: نحو: طفل كالؤلؤ. وطن كالشهقة.

2-التشبيه المفصل: وهو الذي يذكر وجه الشبه وتحذف الأداة. كلماتك شهد حلاوة.